

## خصائص الإنسان في القرآن الكريم



قال تعالى: (وَإِنَّ لَدَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (النجم/ 39).

يرتبط سعي الإنسان في الحياة الدنيا بمقدار سعيه عمله بعيداً عن أي اعتبار آخر، من الاسم الذي يحمله، أو الانتماء الذي يواليه، أو الإيمان الذي يعتقده، أو الكفر الذي يضمه، أو المكان الذي يحيا فيه، أو غير ذلك من الكثير من الاعتبارات التي قد تعطيه شأنًا أو ضعةً في الحياة الدنيا، لكنّها في الميزان الإلهي ليس لها أي قيمة، فالإنسان بجهد وعمله ومثابرتة وتضحياتة يصنع حياته بنفسه، وهذه من ألطف الكرامات التي أسبغها الله تعالى على الإنسان حين منّ عليه بهذه الكرامة.

1- الإنسان لم يُخلق عبثاً: قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنزَمْنَا خَلْقَنَا كُمْ عِبْثًا وَإَنزَمْنَاكُمْ إِلَّا لِيَعْبَدُنَا لَاتُرْجَعُونَ) (المؤمنون/ 115).

فالإنسان لم يخلق ليعيش هذه السنين في الحياة الدنيا بدون هدفٍ أو دورٍ أو رسالةٍ، فهو ليس موجوداً عبثاً أو هامشياً في الوجود.

ومن الواضح أنّ العيئية تعني أن يعيش الإنسان في هذه الدار الدنيا بدون اعتقاد برجوعه إلى الله تعالى، وبالتالي فإنّ الحياة تنتهي لحظة الموت، وما أشدّه من وجود عبثي للإنسان إن اقتضت حياته على هذا الاعتقاد.

2- ولم يُترك سدىً: قال تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) (القيامة/ 36).

والسدى في اللغة المهمل. وهذه الآية تشير إلى عدم ترك الإنسان مهملاً لا يُؤمر بما هو نفعٌ له، ولا يُنهى عمّا هو ضررٌ عليه، ولا يُكلّف في الدنيا بما يليق بوجوده ولا يحاسب بعمله في الآخرة فيكون المتقون الصالحون والمفسدون المجرمون سواء.

3- إنما خُلِقَ لغاية وحكمة؛ قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات/ 56).

وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود/ 118-119).

وعن الإمام الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى: "(وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)": خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمة الله فيرحمهم.

وعنه (ع) أيضاً: "إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلاهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليحلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد".

وهذا المعنى نقرأه في روايات أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، فعن الإمام عليّ (ع): "بتقوى الله أُمّرت، وللإحسان والطاعة خُلقت".

وعنه (ع) - وهو يدعو الناس إلى الجهاد - "إنَّ الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه".

وحتى لا تبقى هذه العبادة سيلاً خاصاً يتيه به الخلق جعل لهم دليلاً وهادياً من أنبيائه ورسله، وولياً لهم على شؤونهم وأعمالهم، فقد ورد عن الإمام الحسين (ع): "أيها الناس، إنَّ الله عز وجل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبده، فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه. فقال له رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت أمي، فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته".

4- لم يُخلق ليتمتع كما تتمتع الأنعام؛ قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ) (الأعراف/ 179).

فمعيار إنسانية الإنسان تكمن في استفادته مما وهبه الله تعالى من إدراكات وحواس يميز بها بين الأمور وإلا لكان حطب جهنم كما دللت الآية.

فعن الإمام عليّ (ع): "المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه، إن قاتل قاتل بجنان، وإن نطق نطق ببيان".

وعنه (ع): "للإنسان فضيلتان: عقل ومنطق، فبالعقل يستفيد وبالمنطق يفيد".

وعنه (ع): "المرء يوزن بقوله ويقوم بفعله".

صفة الإنسان الكامل:

الإمام عليّ (ع): "قد أحيا عقله وأمات نفسه، حتى دقَّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل".

وعنه (ع): "ما برح الله - عزت آلاؤه، في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات - عباد ناجاهم في فكرهم وكلامهم في ذات عقولهم... وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات، وأدلة تلك الشبهات".

5- لم يخلقه لنفسه: فإن لم يخلق الإنسان لمجرد إيجاده، بل خلقه □، قال تعالى: (وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي) (طه/ 41)، (وَلَتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي) (طه/ 39)، فارتباط الموجودات كلها له علاقة بوجود الإنسان، إلا أن وجود الإنسان له ارتباط بوجود □ تعالى.

حينما يعتقد الإنسان أن وجوده امتداد لوجود □ وأزله خليفة □ في أرضه، ونائبه في إقامة الحق، وإفاضة الخير، وإشاعة الجمال، يشعر أن الكون كله في خدمته، وأن الملائكة الكرام في حراسته، وأن رب الوجود معه.

6- ولم يسلمه إلى أحد من خلقه: قال تعالى: (إِنَّ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ \* مِنْ دُونِهِ فَكَيْدٌ وَنِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ \* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ \* مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أْبَلَّغْتُكُمْ \* مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) (هود/ 54-57).

وفي الخلاصة أن الإنسان ما لم يدرك نفسه ووجوده، وهذا الدور الكبير الذي أحاطه □ به لا يمكنه أن يعرف ربه ويحقق ارتباطه العميق با □ تعالى، ولعلله لذلك ورد في الحديث الشريف: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ".